المجلد الرابع العدد (2) الجزء(1) ذو الحجـة 1445 ،يونيـــو 2024 ، ردمد : 8797 - 1658

# القول القويم في دفع الشبهات عن الخليل إبراهيم، دراسة تفسيرية

# The correct saying in repelling suspicions about Khalil Ibrahim, an explanatory study

أ. د/ ربيع يوسف شحاته الجهمي

**Prof. Rabie Youssef Shehata Al-Jahmi**

# القول القويم في دفع الشبهات عن الخليل إبراهيم، دراسة تفسيرية

# The correct saying in repelling suspicions about Khalil Ibrahim, an explanatory study


أ. د/ ربيع يوسف شحاته الجهمي

الأستاذ في القرآن وعلومه، قسم الدراسات الإسلامية،

كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك

Prof. Rabie Youssef Shehata Al-Jahmi
Professor of the Qur'an and its Sciences,
Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law,
University of Tabuk

ralghmy@ut.edu.sa
https://orcid.org/0009-0005-2738-3560
https://scholar.google.com/citations?view_op=list_works&hl=ar&hl=ar&user=TfPVrzsAAAAJ

**ملخص البحث**

يتناول هذا البحث بالدراسة التفسيرية دفع الشبهات المذكورة في التفسير عن نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ حيث نسب إليه في تفسير أربعة مواضع من القرآن الكريم ما يتعارض مع القرآن والسنة، وعصمة الأنبياء. ويهدف البحث إلى الدفاع عن القرآن الكريم، وعن الأنبياء عليهم السلام، بتفنيد تلك الشبهات وبيان التفسير الصحيح؛ حتى لا تضيع مكانة الأنبياء، ويتهم القرآن زورا وبهتانا بانتقاصهم والطعن فيهم، كما يهدف إلى سد الذرائع، حتى لا ينخدع العامة بما ورد من تلك الشبهات في أمهات كتب التفسير، وإلى قطع الطريق أمام الطاعنين في القرآن وفي الأنبياء. وقد أثبت البحث: بطلان تلك الشبهات، فنبي الله إبراهيم عليه السلام لم يتشكك في قدرة الله تعالى على البعث، وكان سؤاله عن الكيفية لا عن الإمكان، ليوقن قلبه، ويتحقق له عين اليقين. ولم يعبد غير الله تعالى، لا قبل البعثة ولا بعدها. ولم يكذب قط، وما ورد من الآيات موهما ظاهره ذلك له توجيهات كثيرة سائغة. وكان نظره في النجوم لحكم كثيرة، منها: مناظرة قومه؛ لإقامة الحجة عليهم. كما بين البحث أن منشأ تلك الشبهات إما اعتماد الروايات الضعيفة، أو الإسرائيلية، أو سوء الفهم للقرآن والسنة، أو مخالفة جمهور الأمة، أو اعتماد المرجوح في التفسير.

**الكلمات المفتاحية**: دفع الشبهات – الخليل إبراهيم – دراسة تفسيرية.

**ABSTRACT**

This research deals with the exegetical study to refute the doubts mentioned in the interpretation of the Prophet of God, Abraham, peace be upon him. Where he was attributed in interpreting four places in the Holy Qur'an that contradicted the Qur'an and the Sunnah, and the infallibility of the prophets. The research aims to defend the Holy Qur'an and the Prophets, peace be upon them, by refuting these suspicions and stating the correct interpretation. So that the status of the prophets is not lost, and the Qur'an is falsely and slanderously accused of diminishing and slandering them, it also aims to block the pretexts, so that the public will not be deceived by the suspicions mentioned in the most important books of interpretation, and to block the path for those who challenge the Qur'an and the prophets.

The research has proven that these suspicions are invalid, as the Prophet of God Abraham, peace be upon him, did not doubt God Almighty's ability to resurrect, and his question was about the method, not the possibility, to make his heart certain and achieve certainty. He did not worship anyone other than God Almighty, neither before nor after the mission. He never lied, and what was mentioned in the verses is apparently misleading. This has many plausible directions. He looked at the stars for many reasons, including: debating with his people. To make an argument against them. The research also showed that the origin of these suspicions is either the adoption of weak or Israeli narrations, a misunderstanding of the Qur'an and the Sunnah, disagreement with the majority of the nation, or the adoption of what is more likely in interpretation .

Keywords: repelling suspicions - Hebron Ibrahim - an explanatory study..

**المقدمة:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإنه لا يخفى أن الأنبياء – عليهم السلام – هم صفوة الله تعالى من خلقه، وحملة أمانته العظمى إلى عباده، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥].

ولقد حفظ الله تعالى في القرآن الكريم نبأهم؛ وأبان عن عظيم مكانتهم وسمو منزلتهم، وشريف مواقفهم في الدعوة إلى دينه الحق، والصبر على أذى أقوامهم وعنتهم بما لا يصبر عليه ولا يطيقه أحد سواهم.

وإن مما يؤسف له أن فئاما من الناس خاضوا في سيرهم وعقيدتهم؛ قديما وحديثا، بقصد أو بغير قصد؛ بناء على تأويل باطل، أو تقليد أعمى، أو روايات إسرائيلية؛ لكن يبقى القرآن الكريم السبيل القويم والحجة البالغة الدالة على صحيح سيرهم وتاريخهم، ومنزلتهم عند ربهم، والبرهان العظيم على تنزيههم عما لا يليق بهم، مهما حاول المبطلون النيل منهم؛ لأنه تعالى تكفل بحفظه، وجعله معجزة خالدة، ومنهاجا حيا يقضي به على الضلالة، ويبدد به ظلمات الجهالة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ولهذا يقيض الله لكتابه العزيز من يبين للناس صحيح معانيه، ولأنبيائه المكرمين من يدفع عنهم شبه المبطلين، وجهل الجاهلين؛ لتقوم الحجة وتظهر المحجة رغم أنف الحاقدين.

ولا يقال إن الحديث عن دفع الشبهات عنهم عليهم السلام أصبح نافلة من القول، لكثرة ما كتب فيه؛ لأن الحاجة إلى البيان ما زالت قائمة لوجود تلك الشبهات في أمهات كتب التفسير والتاريخ والسير؛ ولأن الطعن فيهم ما زال مستمرا ومتجددا من أعداء الدين في عصرنا، من الحداثيين والعلمانيين والليبراليين ومن لف لفهم؛ ممن ينكرون عصمة الأنبياء جملة وتفصيلا، قبل البعثة وبعدها!!، ويعتبرون القرآن الكريم نصا بشريا تاريخيا، لا قداسة له!!، ناهيك عن تيارات الإلحاد المنتشرة في ذلك الفضاء العالمي المفتوح ليلا ونهارا.

ويأتي هذا البحث (القول القويم في دفع الشبهات عن الخليل إبراهيم، دراسة تفسيرية)، تأكيدا وتدعيما وترسيخا وإظهارا لمنهج أهل السنة والجماعة في دفع الشبهات عن الخليل عليه السلام، وبيان التفسير الحق للآيات التي نسب إليه في تفسيرها ما لا يليق بعصمته، وأظهرها أربعة مواضع يأتي بيانها.

**أهمية البحث:**

١– أن بيان التفسير الصحيح لما يساء فهمه من آيات القرآن واجب شرعي؛ وسبب عظيم في هداية الناس.

٢– أن في دفع الشبهات عن الأنبياء حفظ لركن النبوة ومقام الأنبياء في قلوب المسلمين، وهذا واجب شرعي، ولو تَرك الأمر لزالت مكانة الشرع من قلوب الناس شيئا فشيئا.

٣- أن في دفع الشبهات عن الأنبياء سدا للذرائع، وقطعا للطريق أمام الملاحدة وأصحاب الفكر الضال الطاعنين فيهم عليهم السلام.

**أهداف البحث:**

١- بيان التفسير الحق للآيات التي نسب إلى الخليل إبراهيم في تفسيرها ما يتعارض مع عصمته.

٢- الدفاع عن القرآن الكريم، ببيان التفسير الحق لتلك الآيات التي أساء البعض فهمها، وزلت فيها أقدام أقوام، حتى لا يتهم القرآن زورا وبهتانا بأنه يطعن في الأنبياء أو ينتقص منهم.

٣- الدفاع عن الأنبياء، صفوة الله من خلقه، وفي الدفاع عنهم دفاع عن دين الله؛ إذ هم حملة وحيه تعالى وشرعه.

٤- قطع الطريق على الملاحدة وأصحاب الفكر المنحرف الطاعنين في القرآن وفي الأنبياء.

**حدود البحث:**

يقتصر هذا البحث على دراسة أربعة مواضع من القرآن الكريم، هي أظهر المواضع التي ذكر في تفسيرها شبهات تقدح في عصمة الخليل إبراهيم –عليه السلام–، وهي: الموضع الأول: الآية (٢٦٠) من سورة البقرة. الموضع الثاني: الآيات (٧٦- ٧٨) من سورة الأنعام. الموضع الثالث: الآيات (٥٧- ٦٣) من سورة الأنبياء. الموضع الرابع: الآيات (٨٨، ٨٩) من سورة الصافات.

**الدراسات السابقة:**

أما الدراسات القديمة: فلا ريب أن كثيرا من المفسرين تناولوا تفسير هذه الآيات الكريمة في مواضعها المتفرقة من السور بين مقل ومكثر؛ ويأتي هذا البحث ليجمع ما ذكر فيها متفرقا هنا وهناك، وينتقي أقوى وجوه الرد والتفسير.

كما أن هناك مؤلفات كتبها القدامى في تنزيه الأنبياء والدفاع عنهم، كـ(تنزيه الأنبياء للشريف المرتضي، المتوفى ٤٣٦)، و(عصمة الأنبياء للفخر الرازي، المتوفى ٦٠٦هـ)، و(تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لابن خُمَير، المتوفى ٦١٤هـ)، لكنها على عظم قدرها ونفعها لا تخلو من الغموض والإيجاز الشديد، أو تغليب المنهج الجدلي العقلي كما عند الرازي في (عصمة الأنبياء)؛ ويأتي البحث الحالي ليتناول تلك المواضع بالدراسة التفسيرية بأسلوب واضح، لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل.

وأما الدراسات الحديثة: فلم أعثر – بعد بحث – على دراسة حديثة تناولت قضية البحث الحالي بهذا العنوان وهذا المنهج، وإنما وجدت دراسات تناولت الحديث عن تنزيه الأنبياء بصورة مجملة، ومنها:

١- عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة والرد على الشبهات الواردة عليها، رسالة دكتوراه، للدكتور/ محمد الخضر ضيف الله، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٧٦م.

– ولم يتعرض في رسالته إلا لبعض قضايا البحث الحالي، وبإيجاز شديد.

٢- آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبد العزيز السدحان.

– ولم يتعرض لقضايا البحث الحالي جملة وتفصيلا.

٣- إعلام المسلمين بعصمة النبيين للشيخ إسحاق عزوز المكي، ١٩٩٥م.

– ولم يتعرض إلا لبعض قضايا البحث الحالي، وبإيجاز شديد، في أربع صفحات.

وما يختص به البحث الحالي هو دراسة تلك المواضع الخاصة بدفع الشبهات عن الخليل إبراهيم –عليه السلام– دراسة تفسيرية تفي بالمقصود من دفع الشبهات وبيان التفسير الصحيح دون إخلال أو إطناب.

**منهج البحث**: سرت في هذا البحث على ثلاثة مناهج، هي: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي النقدي، والمنهج الاستنباطي، حيث جمعت الآيات المراد دراستها، وأهم الأقوال في تفسيرها، والشبه المثارة حولها، وحللت الآيات الكريمة موضوع البحث، وفندت ما ورد في تفسيرها من أقوال أو روايات لا تصح، سائرا على منهج الأئمة الأعلام، مستعينا بما أنتجته قرائحهم، بما يفي بالغرض في كل موضع، وحاولت قدر الإمكان استنباط ما تيسر من المعاني الصحيحة التي يجوز حمل النص القرآني الكريم عليها، وتليق بعصمة الأنبياء عليهم السلام.

**خطة البحث**: اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم إلى مقدمة، ومطلبين، وخاتمة.

**المقدمة**: وفيها أهمية الموضوع، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

**المطلب الأول: مقدمتان بين يدي البحث**.

**المقدمة الأولى**: الشبهات في تفسير القرآن، مفهومها، ومناشئها.

**المقدمة الثانية**: عصمة الأنبياء عليهم السلام، مفهومها، والمذاهب فيها.

**المطلب الثاني: دفع الشبهات في تفسير الآيات الواردة في شأن الخليل إبراهيم عليه السلام**. وفيه أربعة مواضع:

**الموضع الأول**: دفع شبهة شكّه عليه السلام في قدرة الله على البعث.

**الموضع الثاني**: دفع شبهة كفره عليه السلام بالله تعالى.

**الموضع الثالث**: دفع شبهة تلبسه عليه السلام بالكذب.

**الموضع الرابع**: دفع شبهتي نظره عليه السلام في النجوم، وكذبه.

**ثم الخاتمة**: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته، ثم ثبت المصادر والمراجع.

هذا، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨]. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، وذخرا لي يوم الدين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

## المطلب الأول

## مقدمتان بين يدي البحث

### المقدمة الأولى: الشبهات في تفسير القرآن: مفهومها، ومناشئها.

**أولاً: مفهوم الشبهات:**

**أما في اللغة**: فالشبهات: جمع شُبهة، وتجمع أيضا على شَبه، مثْل: غُرْفَة تجمع على غُرُفَات وغُرَف، تَقول: شَبَّهت عليَّ يا فلان: إِذا خَلَّطَ عَلَيْكَ الأَمْر حَتَّى اشْتَبه بغَيْره، واشْتَبه الأَمر: إِذا اخْتَلَطَ، وتقول: اشْتَبه عَلَيَّ الشيء، وإِنِّي لَفي شُبْهة منْه، ويقال: تَشابه الشيئان واشْتَبها: أَشْبَه كلُّ واحد منْهما صاحبَه، وفي التَّنْزيل: ﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾[الأنعام: ١٤١].

والشُّبهة: الالتباس، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠]. وأُمور مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِه بعضُها بعضًا. والمُشْتَبِهات من الأُمور: المُشْكِلات، واشْتَبَه الأَمْران، إِذا أَشْكَلا. واشْتَبهت الأُمور وتَشابَهَتْ: التبستْ فَلَم تَتميَّز ولَم تَظهر، ومنه اشْتَبهت القبلةُ ونَحْوها. وشَبَّهته عَلَيْه تَشْبيهًا مثْل: لَبَّسته عَلَيْه تَلْبيسا وزنًا ومعنًى، والاشْتباه: الالتباس، (الجوهري، ١٩٩٨م، ٦/ ٢٢٣٦)، (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٣/ ٢٤٣)، (ابن منظور، بدون، ١٣/ ٥٠٣- ٥٠٥)، (الفيومي، بدون، ١/ ٣٠٣)، (الراغب، بدون، ص٤٤٣).

**وبناء عليه**: فإن معنى الشبهة في لغة العرب يدور حول معاني: الإشكال، والالتباس، والاختلاط، وعدم التمييز؛ سواء كان ذلك ناشئا عن جهل، أو عن عمد من فاعله.

والْمُتَشَابِهُ من القرآن – في أحد معانيه-: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللّفظ، أو من حيث المعنى، أو هو النص القرآني الذي يحتمل عدة معان؛ قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، (السيوطي، ١٩٧٤م، ٣/ ٣- ٥).

**وأما في الاصطلاح**: فقيل: "هي في الشرع: ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل"(مصطفى وآخرون، بدون، ١/ ٤٧١). و"في الْعَقِيدَة: الْمأْخذُ الْملبَّس، سُمِّيَتْ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الحَقَّ" (الفيومي، بدون، ١/ ٣٠٣).

**وبناء على كل ما سبق**: يمكن تعريف الشبهات في تفسير القرآن بأنها: (كل تفسير لآيات القرآن الكريم يكون مشكلا أو ملبسا، قائما على أساس خاطئ، مخالفا الصواب، ناشئا عن جهل، أو عن عمد، ولا يميزه إلا المتخصصون؛ لاشتباهه بالتفسير الحق واختلاطه به من حيث الظاهر).

**ثانيا: مناشيء الشبهات في تفسير القرآن الكريم:**

يمكن إجمال مناشيء الشبهات في تفسير القرآن الكريم فيما يأتي:

(١) الاعتماد على الروايات الضعيفة، أو المكذوبة.

(٢) الاعتماد على الروايات الإسرائيلية.

(٣) اتباع الأهواء الذاتية، والاتجاهات المنحرفة، والعقائد الباطلة.

(٤) الجهل بالسنة النبوية وشروحها.

(٥) الجهل بالعلوم الواجب توافرها في المفسر، وعلى رأسها علوم اللغة العربية.

(٦) الجهل بالقواعد المرعية في تفسير القرآن الكريم

(٧) سوء الفهم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

(٨) مخالفة إجماع الأمة وما تلقته بالقبول.

(٩) اعتماد أقوال الحاقدين على الإسلام من الملاحدة والمستشرقين وأذنابهم.

(١٠) بتر النصوص والأقوال، وإخراجها من سياقها.

(١١) اعتماد الأقوال الشاذة أو المرجوحة في التفسير.

****

## المقدمة الثانية

## عصمة الأنبياء عليهم السلام، مفهومها، والمذاهب فيها

### أولا: مفهوم عصمة الأنبياء:

**(أ) في اللغة:**

العصْمة: المنْع، والوقاية، وعصْمةُ اللَّه عَبْدَه: أَنْ يَعْصمَه ممَّا يُوبقُه. يقال: عَصَمه يَعْصمُه عَصْماً: منَعه ووقَاه، قال تعالى: ﴿قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾[هود: ٤٣] أي: أَي يمنعني منَ الْماء، وَالْمَعْنَى منْ تَغْريق الْماء. واعْتَصَم فلانٌ باللَّه إِذَا امْتَنَع به. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلُطْفه من المعصية، (الجوهري، ١٩٩٨م، ٢/ ١٤٦٥)، (ابن منظور، بدون، ١٣/ ٤٠٣- ٤٠٤).

**(ب) في الشرع:**

قال الراغب: "عصْمةُ الأنبياء: حفْظُه تعالى إياهم أولا بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وبتثبت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]"، (الراغب، بدون، ص٣٣٦، ٣٣٧).

وقال ابن حجز: "عصمة الله الأنبياء -على نبينا وعليهم الصلاة والسلام- حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسية، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة عليهم"، (ابن حجر، بدون، ١١/ ٥٠٢).

وقال القرطبي "وسميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية"، (القرطبي، ١٩٩٦م، ١٨٩/٩، ١٩٠). وقال اللقاني: "حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهى كراهة"، (اللقاني، ١٩٦٥م، ص١٠٩).

وكلها تعريفات متقاربة، لكن الأخير أقربها؛ لأنه يبين أن الرسل والأنبياء وإن شاركوا بني آدم في بشريتهم إلا أن الله تعالى يحفظهم ظاهراً وباطناً من ارتكاب المعاصي، ويباعد بينهم وبينها.

**ثانيا: المذاهب في عصمة الأنبياء عليهم السلام:**

قال الإمام الرازي: "اختلف الناس في عصمة الأنبياء -عليهم السلام-، وضبط القول فيه أن يقال: الاختلاف في هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعة: أحدها: ما يقع في باب الاعتقاد، وثانيها: ما يقع في باب التبليغ، وثالثها: ما يقع في باب الأحكام والفتيا، ورابعها: ما يقع في أفعالهم وسيرتهم"، (الرازي، ١٩٩٠م، ٣/ ٤٥٥).

**١- أما اعتقادهم الكفر أو الشرك:** فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل البعثة وبعدها عمداً وسهواً، وخالف في ذلك الرافض والخوارج فأجازوا عليهم الكفر والشرك بعد البعثة، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٥٠- ١٥٢)، (الرازي، ١٩٩٠م، ٣/ ٤٥٥)، (القرطبي، ١٩٩٦م، ٧/ ٢٥).

**٢- وأما ما يتعلق بتبليغ الرسالة**: فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بتبليغ رسالات الله تعالى، عمداً وسهواً، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء، ويفوت بذلك الغرض المقصود بالبعثة، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٦٩- ١٧١، ١٨٧)، (الرازي، ١٩٩٠م، ٣/ ٤٥٥)، (ابن تيمية، ١٩٩٥م، ١٠/ ٢٨٩)، (السفاريني، ١٩٨٢م، ٢/ ٣٠٧).

**٣- وأما ما يتعلق بالفتيا**: فأجمعوا على كونهم معصومين من الخطأ فيه على سبيل التعمد، وأما على سبيل السهو فجوزه بعضهم، وأباه آخرون، (الرازي، ١٩٩٠م، ٣/ ٤٥٥).

**٤- وأما ما يتعلق بأفعالهم من الكبائر والصغائر**:

- **أما الكبائر قبل النبوة**: فالصحيح أنهم منزهون عن كل عيب، معصومون من كل ما يوجب الريب قبل النبوة، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ٢٣٥).

- **وأما الكبائر بعد النبوة**: فلا خلاف في عصمتهم من الكبائر بعدها، وقد نقل الإجماع على ذلك: القاضي عياض، وأبو بكر الباقلاني، وابن حزم، وابن حجر، والشوكاني، وابن الحاجب وغيرهم، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ٢٣٥)، (ابن حزم، بدون، ٤/ ٢٥)، (ابن حجر، بدون، ٨/ ٦٩)، (الشوكاني، ١٩٩٩م، ١/ ٩٨).

- **وأما الصغائر**:

- فذهب الشيعة إلى عصمتهم منها قبل البعثة وبعدها، (الشريف المرتضى، ١٤٢٢هـ، ص١٥)، (الرازي، ١٩٨٦م، ص٤٠).

- وجوزها أكثر أهل السنة قبل البعثة وبعدها؛ قال القاضي عياض: "وأما الصغائر: فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدّثين والمتكلمين"، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٤٤).

وللإمام القرطبي تحقيق في المسألة، بيَّن فيه أنهم -عليهم السلامَ- معصومون من الصغائر التي فيها شين ونقص؛ وأنها واقعة منهم على جهة الندرة والخطأ والنسيان أو الاجتهاد والتأويل، لا على سبيل التعمد، وأنهم - عليهم السلام- وإن كانت النصوص قد شهدت بوقوع ذنوب منهم؛ لكن ذلك لم يُخِلّ بمناصبهم، ولا قَدَحَ في رتبهم، بل قد اجتباهم الله وهداهم، ومدحهم وزكاهم، واختارهم واصطفاهم، صلوات الله وسلامه عَليهم، (القرطبي، ١٩٩٦م، ١/ ٣٠٨، ٣٠٩)، (الشوكاني، ١٩٩٩م، ١/ ٩٨- ١٠٢).

وينبغي التنبه ههنا إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أن القائلين بجواز وقوع الصغائر من الأنبياء بعد البعثة مجمعون على أنهم معصومون من الإقرار عليها؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والأنبياء معصومون من الإقرار على الذنوب، حتى لا يتأسى بهم فيها إذا أُقروا عليها؛ لأن الإقرار عليها يقتضي أنها ليست ذنوبا"، (ابن تيمية ، ١٤٠٣هـ، ١/ ٤٠١)

وقال أيضا: "الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصا، بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة على جميع الخلق"، (ابن تيمية، ١٩٩٥م، ١٥/ ٥١).

*****

## المطلب الثاني

### دفع الشبهات في تفسير الآيات الواردة في شأن الخليل إبراهيم عليه السلام

ذكر بعض المفسرين في تفسير الآيات الكريمة الواردة في شأن الخليل إبراهيم – عليه السلام – ما يتعارض مع نصوص القرآن الكريم، وعصمة الأنبياء جميعا؛ وأظهر هذه الشبهات ورد في تفسير أربعة مواضع من القرآن الكريم، وبيانها فيما يأتي:

### الموضع الأول

### دفع شبهة شَكّه – عليه السلام – في قدرة الله تعالى على البعث

**أولا: الموضع الذي ذكرت في تفسيره تلك الشبهة:**

هو قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

**ثانيا: الشبهة:**

اعترض الملاحدة، ومن تابعهم من اليهود والنصارى، والقرامطة، والباطنية القائلين باستحالة البعث؛ فقالوا: إن إبراهيم على جلالة قدره لم يكن موقنا بقدرة الله على البعث، فشك في ذلك حتى طلب رؤية الكيفية ليطمئن قلبه؛ والشك في البعث كفر صراح بالإجماع من كل أمة، (الشريف المرتضى، ١٤٢٢هـ، ص٥٤)، (الرازي، ١٩٨٦م، ص٧٤)، (ابن خمير، ١٩٩٠م، ص٩٦).

– ومما يؤسف له أن شيخ المفسرين الطبري قد اختار هذا القول، حيث قال في بيانه: "وقال آخرون: قال ذلك لربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى. ذِكْر من قال ذلك: ..." (الطبري، ١٩٨٧م، ٥/ ٤٨٩، ٤٩٠).

– وقال في اختياره: "وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، ما صحَّ به الخبر عن رسول الله صلى أنه قال، وهو قوله: (نحن أحق بالشك من إبراهيم، قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن؟)، وأن تكون مسألته ربَّه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه"، (الطبري، ١٩٨٧م، ٥/ ٤٩١، ٤٩٢).

– واستدل عليه: بما رواه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم – وهو في الصحيحين – من قوله: (نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ منْ إبْراهيمَ، إذْ قَالَ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٤/ ١٦٥٠ ح(٤٢٦٣)، (مسلم، بدون، ١/١٣٣ ح(١٥١).

وبما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ أنه قال: (ما في القرآن آية أرجى عندي منها)، (الطبري، ١٩٨٧م، ٥/ ٤٨٩، ٤٩٠). يعني أنه عليه السلام شك في قدرة الله على البعث، و مع ذلك لم يعنفه الله تعالى أو يعاتبه!!.

وبما رواه عن ابن جريج، قال: سألت عطاء بن أبي رباح، عن قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس،

فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾، قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ليريه)، (الطبري، ١٩٨٧م، ٥/ ٤٨٩، ٤٩٠).

**ثالثا: تفنيد هذه الشبهة:**

ذهب جمهور المفسرين (الزجاج، ١٩٨٨م، ١/ ٣٤٥)، (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٢/ ٢٥١- ٢٥٣)، (الماوردي، بدون، ١/ ٣٣٣، ٣٣٤)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ٤/ ٣٩٨- ٤٠٠)، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ١/٣٥٢)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ١/ ٢٣٥، ٢٣٦)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٣/ ٢٩٨)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، / ٦٤٢- ٦٤٥) إلى أن إبراهيم – عليه السلام – لم يسأل ربه سبحانه شكًا في قدرته على الإحياء قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس البشرية مستشرفة إلى رؤية ما أُخْبِرتْ عنه؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَة) (ابن حنبل، بدون، ١/٢١٥ ح(١٨٤٢)، (الحاكم، ١٩٩٠م، ٢/٣٥١ ح(٣٢٥٠)، وأن الأنبياء معصومون من الكبائر وَمن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا، فلا يجوز عليهم مثل هذا الشك؛ لأنه كفر (الرازي، ١٩٩٢م، ٧/ ٣٥)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٣/ ٢٩٨)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، / ٦٤٢).

قال أبو حيان: "قد تكلم بعض المفسرين هنا في حق من سأل الرؤية هنا بكلام ضربنا عن ذكره صفحا، ونقول: ألفاظ الآية لا تدل على عروض شيء يشين المعتقد"، (أبو حيان، ١٩٩٢م، / ٦٤٢).

**وقد رد الجمهور تلك الشبهة الباطلة، وبينوا التفسير الصحيح، من جهات عدة، منها ما يأتي:**

**الجهة الأول: تفنيد أدلة الشبهة:**

**١**– أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ منْ إبْرَاهيمَ) فقالوا: الصواب في معناه: أنه لو كان إبراهيم شاكًا لكنا نحن أحق بالشك منه، ونحن لا نشك، فإبراهيمَ عليهَ السلَام أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام، وليس فيه الحديث اعتراف بالشك من النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما، كأنه صلى الله عليه وسلم يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك، يقول صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا منه وهضما لنفسه (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٢/ ٢٥٣)، (السمعاني، ١٩٩٧م، ١/ ٢٦٦)، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ١/٣٥٢)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ١/ ٣٥٨)، (الخطيب الشربيني، ١٢٨٥هـ، ١/ ١٧٤).

**٢**– وأما قول ابن عباس: (ما في القرآن آية أرجى عندي منها): فلا يليق حمله على ظاهره، لأنه يلزم منه الكفر، ولابد من تأويله بأنها: أرجى آية من حيث إن فيها الإدلال على الله تعالى. أو: أرجى آية من حيث إن مجرد الإيمان كاف، ولا يحتاج معه إلى تنقير وبحث، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ١/٣٥٣)، (ابن عرفة، ٢٠٠٨م، ١/ ٣١٦).

**٣**– وأما قول عطاء: (دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس): فمعناه: من حيث طلب المعاينة لا الإمكان، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ١/٣٥٣)، (ابن عرفة، ٢٠٠٨م، ١/ ٣١٦).

**الجهة الثانية: تحرير المراد بالسؤال بـ (كيف) في هذه الآية الكريمة:**

قالوا: إن "كيف" يسأل بها عن الحال لا الإمكان، ونظيره أن يقول القائل: "كيف يحكم زيد في الناس؟" فهو لا يشك أنه يحكم فيهم، ولكنه يسأل عن كيفية حكمه لا ثبوته، فالاستفهام بـ"كيف" إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول، فـ (كيف) في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر، وبناء عليه: فإن سؤال الخليل عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ليس سؤالا عن الإمكان، وليس عن شك في

قدرة الله على الإحياء، وإنما هو سؤال عن كيفية الإحياء، مع يقينه الجازم بقدرته تعالى على كل شيء، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ٣٥٣/١)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٣/ ٢٩٨، ٢٩٩)، (الثعالبي ، ١٤١٨هـ، ١/ ٥١١، ٥١٣)، فقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ طلب مشاهدة الكيفية، وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: أي: سألتك ليوقن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا، فإبراهيم إنما أراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، والطمأنينة: اعتدال وسكون، فطمأنينة الأعضاء معروفة، وطمأنينة القلب: أن يسكن فكره في الشيء المعتقد، والفكر في صورة الإحياء غير محظور، كما لنا اليوم أن نفكر فيها، إذ هي فكَرٌ فيها عبرٌ، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ٣٥٣/١)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٣/ ٣٠٠)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، / ٦٤٢).

ومما يؤكد أنه لم يسأل ربه تعالى شكا، أنه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ولم يقل: هل تحيي الموتى؟ (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ١/ ٢٣٦).

**الجهة الثالثة: دلالة سياق القرآن الكريم على تنزيهه عليه السلام عن الشك في قدرة الله تعالى:**

فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وهذا أولى وأفضل طريق لتفسيره، ومن ذلك:

**١-** قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]: فإنه يدل على أنه كان عالما بقدرة الله تعالى على البدء والإعادة، وعلى أنه لا يشك في ذلك. فهو قد ثبت لديه سمعاً أن إحياء الموتى حق لا محالة. والشك يبعد على من تثبت قدمه في الإيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوة والخلّة، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ٣٥٣/١)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٣/ ٢٩٨).

**٢-** قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠]: فلو كان إبراهيم شاكًا ما صح له أن يقول: (ولكن ليطمئن قلبي) (الرازي، ١٩٩٢م، ٧/ ٣٥).

**٣-** قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠]: يدل على أن هذا كلام عارف طالب لعين اليقين بعد أن حقق علم اليقين، (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٢/ ٢٥١)، (القشيري، بدون، ١/ ٢٠١)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٧/ ٣٥)،(البيضاوي ، ١٤١٨ هـ، ١٥٧).

**٤-** قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥]: حيث أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل، وقال تعالى على لسان اللعين: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠] وإذا لم يكن له سلطنة عليهم فكيف يشككهم؟!، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٣/ ٢٩٩).

**وخلاصة القول:** أن الخليل عليه السلام لم يسأل ربه تعالى شكا في قدرته على الإحياء، وحاشاه من ذلك، ولم يكن سؤاله عن الإمكان، وإنما كان عن الكيفية، مع يقينه الجازم بقدرته تعالى على كل شيء، لقد طلب المعاينة ليوقن قلبه بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا، ليتحقق لديه عين اليقين بعد أن تحقق له علم اليقين.

*****

## الموضع الثاني

## دفع شبهة إشراكه – عليه السلام – بالله تعالى

**أولا: الموضع الذي ذكرت في تفسيره تلك الشبهة:**

هو قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾ [الأنعام: ٧٥ – ٧٨] .

**ثانيا: الشبهة:**

اختار الإمام الطبري وبعض المفسرين: أن إبراهيم – عليه السلام – عبدَ الكواكب مع قومه، حتى عرف ربه بالنظر والاستدلال، (الطبري، ١٩٨٧م، ١١/ ٤٨٠– ٤٨٦)، (السمرقندي، ١٩٩٣م، ١/ ٤٦٢).

**واستدل الطبري بالآتي:**

**١–** بظاهر قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾، في المواضع الثلاثة، وظاهر قوله تعالى: ﴿ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ ﴾.

**٢–** بما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [الأنعام: ٧٥] يعني به الشمس والقمر والنجوم، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ ﴾، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: ﴿ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ ﴾، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ ﴾، فعبدها حتى غابت، فلما غابت قال: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾ (الطبري، ١٩٨٧م، ١١/ ٤٨٠).

وفي رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس مختصرا في الآيتين، بلفظ: "فَعبدَه حتَّى غَاب"، وبلفظ: "فَعبدَها حتَّى غَابتَ" (ابن أبي حاتم، بدون، ٤/ ١٣٢٩).

**٣–** وبما روى عن ابن إسحاق: ... وفيه: "فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على وجود الرب؛ فرأى النجم الذي هو أضوأ النجوم في السماء، فقال: هذا ربي ..." القصة، (الطبري، ١٩٨٧م، ١١/ ٤٨٠، ٤٨١).

**وردَّ التأويلات الأخرى،** حيث قال: "وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روي عنه، من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾، ... الخ"، (الطبري، ١٩٨٧م، ١١/ ٤٨١).

وختم بقوله: "وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧] الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم، وأن الصواب من القول في ذلك: الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه" (الطبري، ١٩٨٧م، ١١/ ٤٨٥).

**ثالثا: تفنيد هذه الشبهة وبيان التفسير الصحيح:**

ذهب جمهور المفسرين (الفراء، بدون، ١/ ٣٤١)، (ابن قتيبة، بدون، ص٢٠١)، (النحاس، ١٤٠٩هـ، ٢/ ٤٥٠، ٤٥١)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ٤/ ٢٤٥- ٢٤٦)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٤٧، ٤٨)، (الرازي، ١٩٩٢م،١٣/ ٣٩، ٤٢)، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ٢/ ٣١٢)، (القرطبي، ١٩٩٦م، ٣/ ٢٩٨)، (ابن جزيء ، ١٤١٦ هـ، ١/ ٢٦٧)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، / ٦٤٢- ٦٤٥)، (الشوكاني، بدون، ٢/ ١٦٩) إلى أن هذا التأويل باطل، وأن الأنبياء معصومون من اعتقاد الكفر قبل البعثة وبعدها عمداً وسهواً، وأن إبراهيم -عليه السلام- لم يعبد غير الله تعالى، ولم يكن قط في ضلال أو حيرة، قبل البعثة أو بعدها.

**وردوا تلك الشبهة الباطلة وبينوا التفسير الصحيح، من جهات عدة، أهمها ما يأتي:**

**الجهة الأول: تفنيد أدلة الشبهة:**

**١-** أما الاستدلال بظاهر قوله تعالى على لسان الخليل: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، في المواضع الثلاثة، وأنه قال ذلك عبادة للكوكب، والعياذ بالله تعالى؛ فإنه استدلال باطل، لتعارضه مع الواجب في حق الأنبياء عليهم السلام من العصمة من الكفر قبل البعثة وبعدها عمداً وسهواً؛ ولتعارضه مع سياق الآيات ونصوص القرآن، كما يأتي بيانه، ولأن له وجوها كثيرة صحيحة يجوز حمله عليها، ومنها:

**الوجه الأول:** وهو قول جمهور المحققين من المفسرين: أنه – عليه السلام – قال ذلك في مقام مناظرة قومه واستدراجهم؛ لإقامة الحجة عليهم في بطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب؛ فاستدرجهم بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: في زعمكم واعتقادكم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [القصص: ٦٢]، وهو جل وعلا واحد لا شريك له، والمعنى: أين شركائي على قولكم.

والموافقة في العبارة على طريق إلزام الخصم من أبلغ الحجج وأوضح البراهين، وقد كان في موقف حجاج مع قومه، ولهذا قال الله تعالى في نفس القصة: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٠].

فلما أنسوا به واطمأنوا له عرفهم خطأهم وبطلان عقيدتهم؛ وأنه لا ينبغي لإله أن يزول ولا أن يغيب، فقال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: لا أحب عبادة إله يتغير من حال إلى حال، وينتقل من مكان إلى آخر، ويحتجب بالأستار، فإن هذه صفات المخلوقات، وهكذا ظل يستدرجهم شيئا فشيئا حتى أقام عليهم الحجج الدامغة؛ وأعلنها لهم صراحة، وجاهرهم بالبراءة من باطلهم فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨ ]، ثم أعلن عبادته لله تعالى

وتوحيده له فقال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٩ ] أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء.

قال الطاهر بن عاشور: " ولا يدعو للريبة صدور ما ظاهره الكفر على لسانه – عليه السلام–؛ لأنه إذا جاز للمكره النطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان إنقاذا لنفسه من الهلاك كان جوازه لإنقاذ فريق من الناس من الهلاك في الدنيا والآخرة أولى" (الطاهر بن عاشور، بدون، ٧/ ٣١٩، ٣٢٠).

**الوجه الثاني**: أنه على إضمار القول، والتقدير: "قال أنتم تقولون هذا ربي"، وإضماره في القرآن كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولون ربنا، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: ٣] أي: يقولون ما نعبدهم ... الخ (الزجاج، ١٩٨٨م، ٢/ ٢٦٧)، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٥٣)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٤٧، ٤٨)، (الخازن، ١٤١٥هـ، ٢/ ١٢٨).

**الوجه الثالث**: يجوز أن يكون – عليه السلام – قال هذا لقومه على طريق الاستفهام والتوبيخ، منكرا لفعلهم، والمعنى: "أهذا ربي؟"، أو: "مثل هذا يكون ربًّا؟" فحذف الهمزة، استغناء عنها لدلالة الكلام عليها، ومثله كثير في القرآن وفي الشعر. ففي القرآن الكريم: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] أي: أفهم الخالدون؟. وفي الشعر قول عمرو بن أبي ربيعة الهذلي (سيبويه، ١٩٨٨م، ١/٤٨٥):

رفوني وقالوا يا خويلد لا تُرَعْ **** فقلت وأنكرت الوجوه هم هم؟

والتقدير: أهم هم؟ (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٥٣)، (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٤١)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ٧/ ٢٩)، (القاسمي، ١٩٩٤م، ٣/ ٣٥٢)، وهذا المعنى يظهر جليا من خلال القراءة المفسّرة للقرآن الكريم.

**الوجه الرابع**: يجوز أن يكون قال هذا لقومه على سبيل الاستهزاء، كما يقال لذليل ساد قوما: هذا سيدكم؟ على سبيل الاستهزاء (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٤١)، (ابن عادل، ١٩٩٨م، ٨/ ٢٤٦)، (القاسمي، ١٩٩٤م، ٣/ ٣٥٢)، وهذا المعنى يظهر أيضا من خلال القراءة المفسّرة.

**٢**– وأما الاستدلال بظاهر قوله تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾، فهو استدلال غير صحيح أيضا؛ لأن الأنبياء دائما يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقول الخليل: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ]. لقد استعجز الخليل نفسه واستعان بربه في درك الحق، واعترف تواضعا لله تعالى بأنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٤٧، ٤٨)، (البيضاوي ، ١٤١٨ هـ، ٢/ ١٦٩)، (الخازن، ١٤١٥هـ، ٢/ ١٢٩).

**٣**– وأما الاستدلال بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما:

فهو استدلال لا يصح أيضا، لأن سند الرواية إليه ضعيف جدا؛ إذ فيها: أبو صالح: (عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني، كاتب الليث: صدوق كثير الغلط) (ابن حجر، ١٩٨٦م، ص٣٠٨). ومعاوية بن صالح: (معاوية بن حدير الحضرمي الحمصي، قاضي الأندلس: صدوق له أوهام) (ابن حجر، ١٩٨٦م، ص٥٣٨). وعلي بن أبي طلحة: (علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس: أرسل عن ابن عباس، ولم يره، صدوق قد يخطئ) (ابن حجر، ١٩٨٦م، ص٤٠٢).

فالرواية ضعيفة لسببين، الأول: ضعف رجالها، والثاني: أنها مرسلة؛ إذ إن علي بن أبي طلحة لم ير ابن عباس رضي الله عنهما، ومن ثم يسقط الاحتجاج بها، لاسيما أنها في قضية تتصل بالإيمان والكفر. والظاهر – والله أعلم – أنها من روايات بني إسرائيل، وهم أهل كذب وافتراء.

**٣**– وأما الاستدلال بما روي عن ابن إسحاق:

فهو استدلال لا يصح أيضا؛ لأنها رواية ضعيفة جدا؛ لأن في سندها مجهول؛ حيث قال ابن إسحاق: "فيما ذكر لنا"، ولم يسم من رواها عنه. كما أن في إسنادها: محمد بن حميد: (محمد بن حميد بن حيان الرازي: ضعيف) (ابن حجر، ١٩٨٦م، ص٤٧٥). وسلمة بن الفضل: (سلمة بن الفضل الأبرش، مولى الأنصار قاضي الري: صدوق كثير الخطأ) (ابن حجر، ١٩٨٦م، ص٢٤٨). والظاهر – والله أعلم – أنها أيضا من روايات بني إسرائيل.

قال ابن كثير عن هذه الرواية: "ما ذكره ابن إسحق وغيره مستندٌ إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها؛ ولا سيما إذا خالفت الحق" (ابن كثير، ١٩٨٨م، ١/ ١٦٥).

**الجهة الثانية: دلالة سياق القرآن الكريم على تنزيهه عليه السلام عن الشرك قبل البعثة وبعدها:**

والقرآن يفسر بعضه بعضا، ومن ذلك:

**١** – قوله تعالى في نفس الموضع: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤] فهو دليل على أن إبراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٣٩)، (ابن عادل، ١٩٩٨م، ٨/ ٢٤٤).

**٢**– قوله تعالى في نفس الموضع: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥]: أفترى الله تعالى أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾، فقال: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ على الحقيقة والاعتقاد؟! هذا ما لا يكون أبدا (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ٨/ ٢٤٥).

**٣** – أن الله تعالى قال بعد ذكر قصته عليه السلام: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٣] ولم يقل: (على نفسه)؛ وهذا دليل على أن هذه الواقعة إنما حصلت بسبب مناظرته لقومه؛ ليرشدهم إلى الإيمان بالله، لا لأجل أنه كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٤٠)، (ابن عادل، ١٩٩٨م، ٨/ ٢٤٥).

**٤** – قوله تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨]. دليل آخر على أن هذه الواقعة إنما حصلت بسبب مناظرته لقومه، ودليل على بطلان ما روي من أنه اشتغل بالنظر في الكواكب (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٤٠)، (ابن عادل، ١٩٩٨م، ٨/ ٢٤٥).

**٥** – أن الله تعالى مدحه في القرآن مدحا عظيما يدل على جلالة قدره ومكانته من ربه تعالى، وأنه لم يكن يوما ما مشركا به سبحانه أو عابدا غيره، ومن تلك الآيات:

– قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠– ١٢٣]، فأخبر في هذا النص الكريم مرتين أنه عليه السلام لم يكن من المشركين، أي: في أي وقت من الأوقات (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٣٩)، (ابن كثير، ١٩٨٦م، ٢/ ١٥٦، ١٥٧).

– وقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الصافات: ٨٤] أي: من الشرك، وأقل مراتب القلب السليم أن يكون سليماً عن الكفر (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٥٣)، (الرازي، ١٩٩٢م، ١٣/ ٤٠).

– وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١] أي: آتيناه رشده من قبل من أول زمان الفكرة، وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي بطهارته وكماله.

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدحض تلك الشبهة الباطلة، وتثبت عصمة الخليل إبراهيم عن كل ما نسبوه إليه من الشرك أو الكفر.

*****

## الموضع الثالث

## دفع شبهة تلبسه – عليه السلام– بالكذب

**أولا: الموضع الذي ذكرت في تفسيره تلك الشبهة:**

هو قول الله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٧ – ٦٣].

**ثانيا: الشبهة:**

– زعم الطاعنون في عصمة الأنبياء أن قوله تعالى على لسان الخليل إبراهيم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ دليل على تعمده الكذب؛ لأن إبراهيم عليه السلام هو الذي كسَّر الأصنام، فإضافة تكسيرها إلى غيره لا يكون إلا كذبا (الشريف المرتضى ، ١٤٢٢هـ، ص٤٦، ٤٧)، (ابن حُمير، ١٩٩٠م، ص٩٢، ٩٣)، (الرازي، ١٩٨٦م، ص٦٨، ٦٩).

**ثالثا: تفنيد هذه الشبهة، وبيان التفسير الصحيح:**

للمفسرين في تفنيد هذه الشبهة وبيان التفسير الصحيح طريقان:

**الطريق الأول:** أنه عليه السلام كَذَب، لكنه ليس كذبا قبيحا؛ لأن الكذب لا يقبح لذاته، وإنما يقبح لاشتماله على مفسدة، وقد يحسن الكذب إذا اشتمل على مصلحة كتخليص نبي ونحوه.

وهذا رأي الإمام الطبري ومن تابعه من المفسرين (الطبري، ١٩٨٧م، ١٨/ ٤٦١، ٤٦٢)، (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٦/ ٢٨٠)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ١٥/ ١١١)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣).

يقول في تقريره: "وقد زعم بعض من لا يصدّق بالآثار، ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام، أن معنى قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] إنما هو: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، أي: إن كانت الآلهة تنطق فإن كبيرهم هو الذي كسرهم، وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله، قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]. وقوله لسارة: هي أختي" (الطبري، ١٩٨٧م، ١٨/ ٤٦١، ٤٦٢).

يشير بذلك إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]. وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي ... الحديث (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٣/ ١٢٢٥، ح(٣١٧٩)، (مسلم، بدون، ٤/ ١٨٤٠، ح(٢٣٧١).

وزاد الطبري رأيه تقريرا فقال: "وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك ليقرع قومه ويحتج به عليهم ويعرفهم موضع خطئهم وسوء نظرهم لأنفسهم؛ كما قال مؤذن يوسف لإخوته: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف: ٧٠] ولم يسرقوا شيئا" (الطبري، ١٩٨٧م، ١٨/ ٤٦١، ٤٦٢)، (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٦/ ٢٨٠)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ١٥/ ١١١)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣).

**وقد رد المحققون هذا التأويل** بأدلة كثيرة يأتي بيانها، وقالوا: "لو جاز أن يكذب الأنبياء لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه، فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبروا عنه، وفي كل ما أخبر الله تعالى عنه، وذلك يبطل الوثوق بالشرائع" (الرازي، ١٩٩٢م، ٢١/ ١٦١)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ١٧/ ٣٣)، (الخازن، ١٤١٥هـ، ١٣/ ٥٣٤).

**الطريق الثاني**: وعليه جمهور المحققين من المفسرين: وهو أن الخليل لم يكذب قط، ولا تجوز نسبة الكذب إلى أي نبي من أنبياء الله تعالى، وأن ما ورد في الآية مما يوهم ظاهره ذلك فإنه ليس بكذب، وله وجوه كثيرة سائغة:

**أولها**: توجيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: بأنه صلى الله عليه وسلم إنما سماها كذبات على معنى أن الخليل لم يتكلم بكلام صورته الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات، ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق عليه السلام من مؤاخذته بها" (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩٢)، (ابن حجر، بدون، ٦/ ٣٩١).

**ثانيها**: أنه من المعاريض التي يقصد بها الحق، وإلزام الخصم وتبكيته، وهي: "نوع من التورية، جمع معراض، وأصله الستر، يقال: عرفته في معراض كلامه ولحن كلامه وفحوى كلامه، ومثال ذلك: إذا سألت رجلا: هل رأيت فلانا؟ وقد رآه ويكره أن يكذب، فيقول: إن فلانا ليرى، فجعل كلامه معراضا فرارا من الكذب، ومنه قولهم: "إن من المعاريض لمندوحة من الكذب" (الفيومي، بدون، ص٤٠٤).

ومثالها: ما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط في غاية الحسن: أنت كتبت هذا، وصاحبك أمي لا يحسن الخط، فقلت له: بل كتبته أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك استهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأمي. فلم يكن قصد إبراهيم

عليه السلام أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته للأصنام على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهو قول كثير من المفسرين (الماتريدي، بدون، ٧/ ٣٥٦)، (الزمخشري ، ١٩٩٧م، ٣/ ١٢٤)، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩١)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٣/ ١٩٥)، (ابن العربي، ٢٠٠٣م، ٣/ ٢٦٣)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٢/ ١٦٠)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ١١/ ٣١٨- ٣٢٠)، (ابن تيمية، ١٩٩٥م، ٢٨/ ٢٢٣)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، ٧/ ٤٤٨)، (الخطيب الشربيني، ١٢٨٥هـ، ٢/ ٥١٠)، (الشوكاني، بدون، ٣/ ٤٨٩).

قال ابن العربي: "ولهذا يجوز عند الأئمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه، فإنه أقرب في الحجة وأقطع للشبهة" (ابن العربي، ٢٠٠٣م، ٣/ ٢٦٣). وقال القرطبي: "وفي المعاريض مندوحة عن الكذب" (القرطبي ، ١٩٩٦م، ١١/ ٣١٨).

**وثالثها**: أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، كأنه قال: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم. فتكون إضافة الفعل إلى كبيرهم مشروطة بكونهم ناطقين، فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكونوا فاعلين. والمعنى: إن قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق والفعل، وفي ضمنه أنا فعلت ذلك، وهذا من باب التبكيت والاستهزاء بهم؛ لإقامة الحجة عليهم (ابن قتيبة، بدون، ص٢٦٦)، (الماتريدي، بدون، ٧/ ٣٥٦)، (الزجاج، ١٩٨٨م، ٣/ ٣٩٧)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ١٥/ ١١١)، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩٢)، (السمرقندي، ١٩٩٣م، ٢/ ٤٣١) (ابن العربي، ٢٠٠٣م، ٣/ ٢٦٣)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٢/ ١٦٠)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ١٧/ ٣٣)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ١١/ ٣١٨)، (الخازن، ١٤١٥هـ، ١٣/ ٥٣٣، ٥٣٤).

**ورابعها**: أن يكون ذلك حكاية لما يؤول إليه مذهبهم، كأنه قال: أنتم لا تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على أمثال هذه الأفعال. ويؤيد هذا الوجه: ما يحكى أنه قال: فعله كبيرهم هذا، غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها (الزمخشري ، ١٩٩٧م، ٣/ ١٢٤)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ٢٩٣)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٢/ ١٦٠)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ١٧/ ٣٣)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ١١/ ٣١٨)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، ٧/ ٤٤٨)، (الثعالبي ، ١٤١٨هـ، ٤/ ٩٠)، ويكون هذا أيضا على سبيل التبكيت لهم، لإلزامهم وإقامة الحجة عليهم.

**وخامسها**: أنه كناية عن محذوف، أي: فعله من فعله. و﴿ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ابتداء الكلام. ويروى عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ ﴾ ثم يبتدئ: ﴿ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ١٥/ ١١١)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ٢٩٣)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٣/ ١٩٥)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٢/ ١٦٠)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ١٧/ ٣٣)، (القرطبي ، ١٩٩٦م، ١١/ ٣١٨)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، ٧/ ٤٤٨)، (الخازن، ١٤١٥هـ، ١٣/ ٥٣٣).

وعلى هذه الوجوه السابقة ينتفي أن يكون قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ كذبا، بل هو محض الصدق.

** وأما قوله عن سارة إنها (أختي): فتوجيهه: أن المراد أنها أخته في الدين، فلم يكن وقتئذ على وجه الأرض مسلم سواهما، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] (الزجاج، ١٩٨٨م، ٣/ ٣٩٧)، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩١)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٢/ ١٦٠)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ١٧/ ٣٣).

ويأتي في الموضع الرابع توجيه المعنى لقوله تعالى على لسانه: ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٩]

## الموضع الرابع

## دفع شبهتي نظره – عليه السلام – في النجوم، وكذبه

**أولا: الموضع الذي ذكرت في تفسيره تلك الشبهة:**

هو قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٣– ٨٩].

**ثانيا: الشبهة:**

– زعم الطاعنون في عصمة الأنبياء أن قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ ﴾ دليل على وقوع إبراهيم عليه السلام في المعصية، وذلك من وجهين:

**الأول**: نظره في علم النجوم، والنظر فيه محرم. **والثاني**: ارتكابه الكذب؛ لأنه قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ ﴾ وما كان سقيما (الشريف المرتضى، ١٤٢٢هـ، ص٤٦، ٤٧) (ابن خُمير، ١٩٩٠م، ص٩٢، ٩٣)، (الماوردي، بدون، ٥/ ٥٦) (الرازي، ١٩٨٦م، ص٦٨، ٦٩)، فهاتان شبهتان كما ترى.

وقبل الحديث عن تفنيد هذه الشبهة ينبغي أن يعلم أن: "صناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، أو التمزيج بين القوى الفلكية والغوائل الأرضية، صناعة محرمة بالكتاب والسنة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: ٦٩] ، وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت: السحر... واتفقوا –أي أهل العلم –كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور، ونحو ذلك؛ فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك؛ فيجب غلقه، بل سده" (ابن أبي العز الحنفي، بدون، ٢/ ٧٦٢– ٧٦٥).

**ثالثا: تفنيد هاتين الشبهتين، وبيان التفسير الصحيح:**

** **أما تفنيد الشبهة الأولى: وهي نظره عليه السلام في علم النجوم:**

فللمحققين من المفسرين في دفعها، وبيان التفسير الصحيح وجوه كثيرة سائغة.

**أولها:** أن يكون نظره في النجوم من قبيل المعاريض التي يقصد بها الحق، وإلزام الخصم وتبكيته، وذلك من وجهين:

الأول: أن يكون المراد بنظره في النجوم: النظر فيها بعينه، حيث كان قومه يعبدونها، فأراد أن يريهم من نفسه الموافقة لهم؛ ليستطيع إقامة الحجة عليهم بحدوثها وتغيُّرها، وبطلان عبادتهم لها، ويكون قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الصافات: ٨٨] متصلا بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗا ... ﴾[الأنعام: ٧٦] الآيات، والقرآن يفسر بعضه بعضا (الماوردي، بدون، ٨/ ٥٧٣) (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٦/ ١٢٨)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ٢٣/ ٦٤).

والثاني: أن يكون المراد بنظره في النجوم: النظر في علم النجوم وفي معانيه، لأن قومه كانوا ينظرون فيه ويعتقدون به، وهو كما يقال: نظر فلان في علم الفقه وعلم النحو، فأراد عليه السلام أن يوهمهم أنه يعلم ما يعلمون، ويتعرف من حيث

يتعرفون؛ استدراجا لهم ليأنسوا إليه ويطمئنوا، فيمكنه إقامة الحجة عليهم ببطلان عبادتهم لها (الزمخشري ، ١٩٩٧م، ٢٦/ ١٢٨)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٦/ ١٢٨)، (ابن عادل، ١٩٩٨م، ١٦/ ٣٢٣).

**وثانيها:** أن يحمل نظره في النجوم على نظر التعبد والتفكر في مظاهر قدرة الله تعالى وآلائه؛ ويؤيده: أنه تعالى قال: ﴿فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾، ولم يقل: (إلى النجوم)، فكأنه عليه السلام نظر في خلق النجوم وعظمة إبداعها، ودلالتها على خالقها سبحانه، فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ أي: إني مغتم من كفركم بالله تعالى وعبادتكم لخلق من خلقه، وآية من آيات قدرته.

وبناء على هذه الوجوه؛ فإن نظره عليه السلام في النجوم لم يكن حراما، ولم يتلبس عليه السلام بمعصية، وحاشاه من ذلك.

** **وأما تفنيد الشبهة الثانية: وهي كذبه عليه السلام:**

فللمفسرين في دفعها، وبيان التفسير الصحيح طريقان:

**الطريق الأول:** أنه كذب، لكنه ليس قبيحا؛ لأن الكذب لا يقبح لذاته، وإنما يقبح لاشتماله على مفسدة، وقد اشتمل على مصلحة ههنا وهي هداية قومه.

وهو قول الإمام الطبري ومن تابعه من المفسرين (الطبري، ١٩٨٧م،٢١/ ٦٤)، (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٨/ ١٤٨)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ١٩٢، ١٩٣)، وهو نفس قولهم المتقدم في قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].

**واستدلوا** عليه بحديث البخاري ومسلم: (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ، قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩ ]. وَقولَه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]...) الحديث، وقد سبق تخريجه.

قال الطبري في تأييده وردّ الوجوه الأخرى: "وقال آخرون: إن قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ من المعاريض ... والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا القول، وهو الحق دون غيره" (الطبري، ١٩٨٧م، ٢١/ ٦٥).

وقال الثعلبي: "والصحيح أنه لم يكن سقيما؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لقد كذب إبراهيم ثلاث كذبات ...)"، وقال البغوي: "وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم، والأول هو الأولى للحديث فيه" (الثعلبي، ٢٠٠٢م، ٨/ ١٤٨)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ٢٩٣).

**وقد رد المحققون من المفسرين هذا الرأي:**

بأنه لا يجوز أن ينسب الكذب إلى نبي من أنبياء الله، بأي وجه من الوجوه، وعلى هذا أهل التحقيق (الماتريدي، بدون، ٨/ ٥٧٣)، (ابن جزيء ، ١٤١٦ هـ، ٢/ ١٩٤)، وذكروا في معنى الآية وجوها كثيرة سائغة، وقالوا: "لو جاز أن يكذب الأنبياء لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه، فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبروا عنه، وفي كل ما أخبر الله تعالى عنه، وذلك يبطل الوثوق بالشرائع (الرازي، ١٩٩٢م، ٢١/ ١٦١)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ١٧/ ٣٣)، (الخازن، ١٤١٥هـ، ١٣/ ٥٣٤).

**الطريق الثاني: أنه ليس بكذب، وما كذب الخليل قط،** وهو قول المحققين: وذلك من وجوه:

**أولها**: أن يكون قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ من قبيل المعاريض، وليس كذبا؛ والمعنى: سأسقَم لا محالة، وذلك جائز في اللغة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] أي: إنك ستموت فيما يستقبل؛ لأن كل واحد وإن كان معافى فلا بد من أن يسقَم ويموت، أو لأن كل إنسان لا ينفك في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة، إما في بدنه أو في قلبه، وكل ذلك سقم وإن قلَّ، وهو قول الجمهور (الماتريدي، بدون، ٨/ ٥٧٣)، (الزجاج، ١٩٨٨م، ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ١٩/ ٧٢)، (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩١)، (السمعاني، ١٩٩٧م، ٤/ ٤٠٤)، (الزمخشري ، ١٩٩٧م، ٤/ ٥١)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٣/ ٥٤٥)، (ابن عطية، ١٩٩٣م، ٤/ ٤٧٨)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٦/ ١٢٨)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ٢٣/ ١٦٤)، (ابن تيمية، ١٩٩٥م، ٢٨/ ٢٢٣)، (القرطبي، ١٩٩٦م، ١٥/ ٩٣)، (أبو حيان، ١٩٩٢م، ٩/ ١١٠)، (ابن حجر، بدون، ٦/ ٣٩١)، (الشوكاني، ١٩٩٩م، ٤/ ٥٠١).

**ثانيها**: أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾: إني مريض القلب مغتم من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى؛ قال ذلك بسبب إطباقهم على الكفر والشرك (الزجاج، ١٩٨٨م، ٤/ ٣٩٧)، (الواحدي، ١٤٣٠هـ، ١٩/ ٧٢)، (الماوردي، بدون، ٥/ ٥٦)، (البغوي، ١٤٠٩هـ، ٣/ ٢٩٣)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٣/ ٥٤٥)، (السمعاني، ١٩٩٧م، ٤/ ٤٠٤)، (أبو السعود، بدون، ٧/ ١٩٧)، (الشوكاني، ١٩٩٩م، ٤/ ٤٦٠)، ويؤيده: أن الأنبياء عليهم السلام كانوا حريصين كل الحرص على هداية أقوامهم، حتى إنه ليصيبهم في ذلك من الأذى ما لا يتحمله غيرهم؛ ولهذا قال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣] (عياض، ٢٠٠٦م، ٢/ ١٩١)، (الزمخشري، ١٩٩٧م، ٤/ ٥١)، (الرازي، ١٩٩٢م، ٢٦/ ١٢٨)، (النيسابوري، ١٩٨٧م، ٢٣/ ٦٤)، وقال له أيضا: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

**ثالثها**: يجوز أن يكون ناله في هذا الوقت مرض، فقال: إني سقيم (الزجاج، ١٩٨٨م، ٤/ ٣٩٧)، (الماوردي، بدون، ٥/ ٥٦)، (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٣/ ٥٤٥).

وبناء على هذه الوجوه الجائزة؛ فإن الخليل عليه السلام ما كذب قط، وحاشاه من ذلك، بل كان صادقا كل الصدق، وتنتفي هذه الشبهة عن ساحته.

## الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين. وبعد،

فقد انتهيت بتوفيق الله تعالى من هذا البحث: (القول القويم في دفع الشبهات عن الخليل إبراهيم، دراسة تفسيرية). وتبين من خلاله ما يأتي:

**أولا**: أنه لابد من مواصلة الكتابة في دفع الشبهات عن الأنبياء عليهم السلام، وبيان التفسير الصحيح؛ دفاعا عنهم، ودفاعا عن القرآن الكريم – حتى لا تضيع مكانة الدين، ويتهم القرآن زورا وبهتانا بما في كتب أهل الكتاب من انتقاص الأنبياء والطعن فيهم –؛ وسدا للذرائع، وقطعا للطريق أمام الملاحدة وأصحاب الفكر الضال الطاعنين في القرآن الكريم والأنبياء عليهم السلام.

**ثانيا**: أن هناك بعضا من المفسرين خالفوا الصواب في تفسير الآيات الواردة في شأن الخليل عليه السلام، ونسبوا إليه ما لا يليق بعصمته عليه السلام، وينبغي التنبيه على ذلك حتى لا ينخدع بقولهم أحد.

**ثالثا:** مما يؤسف له أن بعض أئمة المفسرين كالطبري قد اعتمدوا هذه الأقوال المخالفة؛ وهو ما يدعونا إلى مواصلة الرد والدفاع وبيان التفسير الصحيح؛ حتى لا ينخدع بذلك عامة المسلمين.

**رابعا:** أن منشأ الشبهات المذكورة في حق الخليل إبراهيم عليه السلام كان في مجمله إما الاعتماد على الروايات الضعيفة، أو الإسرائيلية، أو سوء الفهم لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، أو مخالفة جمهور الأمة في عصمة الأنبياء، أو اعتماد الأقوال المرجوحة في التفسير.

**خامسا:** تبين بطلان الشبهات المذكورة في التفسير في حق الخليل إبراهيم عليه السلام، وذلك على النحو الآتي:

**١**– أثبت البحث بطلان شبهة شكّه عليه السلام في قدرة الله تعالى على البعث، وبين أنه عليه السلام لم يشك أبدا في قدرة الله تعالى على البعث، ولم يكن سؤاله لله تعالى إحياء الموتى سؤالا عن الإمكان وإنما كان عن الكيفية، مع يقينه الجازم بقدرة الله تعالى على كل شيء، وأن سؤاله كان طلبا للمعاينة ليوقن قلبه، ويتحقق لديه عين اليقين بعد أن تحقق علم اليقين.

**٢**– أثبت البحث بطلان شبهة عبادته عليه السلام للكواكب من دون الله تعالى، وبين أن ذلك التأويل باطل، ومخالف لسياق الآيات ذاتها، ولنصوص القرآن الكريم الأخرى، وأن الخليل –عليه السلام– لم يعبد غير الله تعالى، ولم يكن قط في ضلال أو حيرة.

**٣**– أثبت البحث بطلان شبهة تلبسه عليه السلام بالكذب، وبين أنه عليه السلام لم يكذب قط، وأن ما ورد في الآيات مما يوهم ظاهره ذلك فإنه ليس بكذب، وله توجيهات كثيرة سائغة، منها أنه من المعاريض، ومنها: أن في الكلام تقديما وتأخيرا.

**٤**– أن تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لذلك بالكذب معناه: أن الخليل لم يتكلم بكلام صورته الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات.

**٤**– أثبت البحث بطلان شبهة نظره عليه السلام في النجوم، وبين أن لنظره فيها توجيهات كثيرة سائغة؛ منها: مناظرة قومه؛ لإقامة الحجة عليهم، ومنها: أنه من قبيل المعاريض، ومنها: أنه كان تعبدا لله تعالى وتفكرا في مظاهر قدرته وآلائه.

**وأخيرا:**

أوصي المسلمين بضرورة الرجوع إلى أهل العلم لمعرفة التفسير الصحيح لكل الآيات التي أثيرت في تفسيرها شبهات، وأن لا ينخدعوا بما ذكر منها منسوبا إلى أعلام السلف في أمهات كتب العلم؛ لأن الأمر يحتاج إلى تدقيق وتحليل وبيان.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## المصادر والراجع


ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي، (بدون). *شرح العقيدة الطحاوية*، ط (بدون)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، (بدون). *تفسير القرآن العظيم*، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار الباز.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (١٤٢٢)، *زاد المسير في علم التفسير*، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي.

ابن العربي، محمد بن عبد الله، (٢٠٠٣م). *أحكام القرآن*، ط٣، بيروت، دار الكتب، العلمية.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، (١٩٩٥م). *مجموع الفتاوى*، ط١، السعودية، مجمع الملك فهد.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٠٣هـ). *الاستقامة*، ط١، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
ابن جزيء، محمد بن أحمد، (١٤١٦هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*، ط١، بيروت، شركة دار الأرقم.
ابن حجر، أحمد بن علي، (بدون). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، ط (بدون)، بيروت، دار المعرفة.
ابن حجر، أحمد بن علي؛ (١٩٨٦م). *تقريب التهذيب*، ط١، سوريا، دار الرشيد.
ابن حزم، علي بن أحمد، (بدون). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، ط (بدون)، القاهرة، مكتبة الخانجي.
ابن حنبل، أحمد بن محمد، (بدون). *المسند*، ط (بدون)، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
ابن خمير، علي بن أحمد، (١٩٩٠م). *تنزيه الأنبياء*، ط١، لبنان، دار الفكر المعاصر.
ابن عادل، عمر بن علي، (١٩٩٨م). *اللباب في علوم الكتاب*، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (بدون). *التحرير والتنوير*، ط (بدون)، يونس، دار سحنون للنشر.
ابن عرفة، محمد بن محمد، (٢٠٠٨م). *تفسير ابن عرفة*، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (١٩٩٣م). *المحرر الوجيز*، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن فارس، أحمد، (١٩٧٩م). *معجم مقاييس اللغة*، ط١، بيروت، دار الفكر.
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (بدون). *تأويل مشكل القرآن*، ط (بدون)، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (١٩٨٦م). *تفسير القرآن العظيم*، ط٢، بيروت، دار المعرفة.
ابن منظور، محمد بن مكرم، (بدون). *لسان العرب*، ط (بدون) بيروت، دار صادر.
أبو السعود، محمد بن محمد، (بدون). *إرشاد العقل السليم*، ط (بدون)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
أبو حيان، محمد بن يوسف، (١٩٩٢م). *البحر المحيط*، ط٢، بيروت، دار الفكر.
البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ). *صحيح البخاري*، ط١، القاهرة، دار طوق النجاة.
البغوي، الحسين بن مسعود، (١٤٠٩هـ). *معالم التنزيل*، ط١، الرياض، دار طيبة.
البيضاوي، عبد الله بن عمر، (١٤١٨هـ). *أنوار التنزيل*، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، (١٤١٨هـ). *الجواهر الحسان*، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الثعلبي، أحمد بن محمد، (٢٠٠٢م). *الكشف والبيان*، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٩٩٨م). *الصحاح*، ط٢، بيروت، دار الفكر.
الحاكم، محمد بن عبد الله، (١٩٩٠م). *المستدرك على الصحيحين*، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.
الخازن، علي بن محمد، (١٤١٥هـ). *لباب التأويل*، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.
الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، (١٢٨٥هـ). *السراج المنير*، ط١، القاهرة، مطبعة بولاق الأميرية.
الرازي، محمد بن عمر، (١٩٨٦م). *عصمة الأنبياء*، ط٣، القاهرة، مؤسسة الثقافة الدينية.
الرازي، محمد بن عمر، (١٩٩٠م)، *التفسير الكبير*، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (بدون). *المفردات في غريب القرآن*، ط (بدون)، بيروت، دار المعرفة.
الزجاج، إبراهيم بن السري، (١٩٨٨م). *معاني القرآن وإعرابه*، ط١، بيروت، عالم الكتب.

الزمخشري، محمود بن عمرو، (١٩٩٧م). *الكشاف عن حقائق التنزيل*، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
السفاريني، محمد بن أحمد، (١٩٨٢م). *لوامع الأنوار البهية*، ط٢، دمشق، مؤسسة الخافقين.
السمرقندي، نصر بن محمد، (١٩٩٣م). *بحر العلوم*، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.
السمعاني، منصور بن محمد، (١٩٩٧م)، *تفسير القرآن*، ط١، الرياض، دار الوطن، الرياض.
سيبويه، عمرو بن عثمان، (١٩٨٨م). *الكتاب*، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي.
السيوطي، جلال الدين (١٩٧٤). *الإتقان في علوم القرآن*، (ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب).
الشريف المرتضى، علي بن الحسين، (١٤٢٢هـ). *تنزيه الأنبياء*، ط١، طهران، المدرسة العليا.
الشوكاني، محمد بن علي، (١٩٩٩م). *إرشاد الفحول*، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي.
الشوكاني، محمد بن علي، (بدون). *فتح القدير*، ط (بدون) دار الكتب العلمية.
الطبري، محمد بن جرير، (١٩٨٧م). *جامع البيان*، ط/١، القاهرة، دار الريان للتراث.
عياض، عياض بن موسى، (٢٠٠٦م). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم*، ط١، القاهرة، دار النشرتي.
الفراء، يحيى بن زياد، (بدون). *معاني القرآن*، ط (بدون)، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
الفيومي، أحمد بن محمد، (بدون). *المصباح المنير*، ط (بدون)، بيروت، المكتبة العلمية.
القاسمي، محمد بن محمد، (١٩٩٤م). *محاسن التأويل*، ط٢، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.
القرطبي، محمد بن أحمد، (١٩٩٦م) *الجامع لأحكام القرآن*، ط٢، القاهرة، دار الحديث.
القشيري، عبد الكريم بن هوازن، (بدون). *لطائف الإشارات*، ط (بدون)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
اللقاني، عبد السلام بن إبراهيم، (١٩٦٥م). *شرح جوهرة التوحيد*، ط١، القاهرة، مكتبة صبيح.
الماتريدي، محمد بن محمد، (بدون). *تأويلات أهل السنة*، ط (بدون)، بيروت، دار الكتب العلمية.
الماوردي، علي بن محمد، (بدون). *النكت والعيون*، ط (بدون)، بيروت، دار الكتب العلمية.
مسلم، مسلم بن الحجاج، (بدون). *صحيح مسلم*، ط (بدون)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
مصطفى وآخرون، إبراهيم، (بدون)، *المعجم الوسيط*، ط (بدون)، القاهرة، دار الدعوة.
النحاس، أحمد بن محمد، (١٤٠٩هـ). *معاني القرآن*، ط١، السعودية، جامعة أم القرى.
النيسابوري، الحسين بن محمد، (١٩٨٧م). *غرائب القرآن*، ط١، القاهرة، دار الريان للتراث.
الواحدي، علي بن أحمد، (١٤٣٠هـ). *التفسير البسيط*، ط١، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.